الآثار السلبية للجريمة و العنف و الانحراف
في وسائل الإعلام الجماهيري

د. محمد قيراط

جامعة الشارقة

مقدمـــــة:

تلعب وسائل الإعلام دورا محوريا في حياة الفرد اليومية حيث أنها تستحوذ على جزء كبير من وقته، فبين مشاهدة التلفزيون و قراءة الصحف اليومية والمجلات و استهلاك الإعلانات المختلفة و الاستماع للراديو و الإبحار في مئات الآلاف من المواقع على الانترنيت يجد الفرد نفسه في نهاية اليوم أنه قضى أكثر مـــن ســـت ساعات مستقبلا ومستهلكا لما تقدمه وسائل الإعلام المختلفة. والإشكال المطروح هنا هو أن الفرد في المجتمع يعتمد على هذه الوسائل المختلفة لتشكيل وعيه و ثقافته و حسه و إدراكه و من ثم الصور العديدة التي تحدد سلوكه وتصرفاته في المجتمع.

فوسائل الإعلام في عصر المعلومات والمجتمع الرقمي تلعب دورا استراتيجيا في تحديد الوعي الاجتماعي و الذاكرة الاجتماعية كما أنها تشكل الواقع كما تراه و ليس كما هو،هذا الواقع "المفبرك" هو الذي يحدد في نهاية المطاف، إلى جانـــب متغيرات أخرى السلوك الاجتماعي في أي مجتمع. ما يلاحـــظ علـــى الرســـائل الإعلامية المختلفة هو محتواها الذي أصبحت تحدده قوانين العرض والطلب وقوانين البيع والشراء. و في هذا السياق أكدت نسبة كبيرة من الدراســـات أن الإثـــارة والجريمة و العنف و الجنس و الأحداث والوقائع السلبية من حروب و انقلابـــات عسكرية و فيضانات و زلازل تشكل محتوى وسائل الإعلام المختلفة.

كثر الحديث والنقاش في السنوات الأخيرة في الأوساط الأكاديمية والعلمية عن تأثير وسائل الإعلام على الجريمة و خاصة فيما يتعلق بالجانب النظري و هـــل

هناك علاقة إرتباطية بين التعرض للجريمة في وسائل الإعلام و السلوك العدواني عند الفرد. فالدراسات و الأبحاث العلمية، في معظمها، أكدت أن هناك تأثير سلبي، وعدد منها أكد أن هناك علاقة إرتباطية إيجابية بين التعرض للعنف التلفزيوني والسلوك العدواني. فسلوك الإنسان معّقد ومرّكب وتحدده عوامل عدة من بينها الصورة الذهنية التي يشكلها الفرد بناء على ما تعرض له و استهلكه في مختلف وسائل الإعلام الجماهيري.

تنظر هذه الدراسة في إشكالية تغطية أخبار الجريمة من قبل وسائل الإعلام المختلفة و آثارها السلبية على أفراد المجتمع. فالجريمة كظاهرة اجتماعية تنتشر اليوم في مختلف المجتمعات، كما تنتشر في المراكز الحضرية الكبيرة و في المناطق ذات الكثافة السكانية الكبيرة و المناطق الشعبية. ما هو الهدف من تغطية الجريمة والعنف من قبل وسائل الإعلام؟ لماذا و كيف؟ ما هي أخلاقيات التغطية؟ و ما هي آليات هذه التغطية؟ و إلى أي مدى يتأثر الجمهور بما يقدم له؟ و ما هي علاقة استهلاك المادة الإعلامية التي تستعرض الجريمة و العنف بالسلوك الإنحرافي و السلوك غير السوّي عند الفرد في المجتمع؟ هل تؤدي تغطية الجريمة إلى الوقاية منها و تجنب وقوعها في المجتمع، أم أنها تؤدي إلى انتشارها و إقبال نسبة من أفراد المجتمع على تقمص شخصية المجرمين و منفذي العنف و تقليدهم في الواقع؟ هل هناك استراتيجية من قبل وسائل الإعلام في التعامل مع الجرائم وأحداث العنف؟ أم أن الأمر يتوقف على البحث عن الإثارة والغرابة و الخروج عن المعتاد لزيادة المبيعات و الحصول على أكبر عدد من الجمهور؟ هل تغطية الجريمة مجرد فعل إعلامي أم أنها وسيلة لتحقيق غاية؟

تتطرق هذه الدراسة إلى مشكلة الجريمة والانحراف والعنف في المجتمع كقيم خبرية تستقطب اهتمام وسائل الإعلام من جهة كمؤسسات تصنع الواقع وتوجهه في الاتجاه الذي يخدم مصالحها ومن جهة أخرى تستقطب اهتمام الجمهور الذي يبحث عن الإثارة والغرابة، والذي غُرست فيه قيم استهلاكية محددة سطرتها ووضعتها أجندة وسائل الإعلام المختلفة. تستعرض الدراسة المدارس المختلفة التي حاولت تفسير تأثير وسائل الإعلام على الجمهور: المدرسة البيولوجية التكوينية، والمدرسة الاجتماعية،و دور وسائل الإعلام في نشر العنف . كما تستعرض الدراسة النظريات المفسرة للعنف في وسائل الإعلام: نظرية التطهير،و نظرية الاستثارة، و نظرية التدعيم،و نظرية النمذجة، و نظرية التوحد.

ما هي الدروس المستخلصة من الأبحاث والدراسات التي نظرت في العلاقة بين الجريمة والعنف التلفزيوني و السلوك العدواني؟ وما هي العمليات السيكولوجية و النفسية التي تحدد تأثير العنف التلفزيوني على السلوك العدواني؟ فالإشكال المطروح في جدلية وسائل الإعلام والجريمة هو الجريمة الحقيقية وإعادة بناء الجريمة وأخيرا الجريمة كوسيلة للتسلية. فوسائل الإعلام في عصرنا هذا اختلطت عليها الأمور وأصبحت لا تفرق بين هذه الأنواع الثلاث، وأصبح الجمهور لا يستطيع أن يفّرق بين الواقع و الخيال. وأصبحت الجريمة والانحراف في وسائل الإعلام وسيلة لتحقيق أهداف معينة والبحث عن الإثارة والغرابة والمادة التي تسوّق وترّوج وتبيع، وليست غاية يقصد من ورائها التوعية والتثقيف وإشراك المجتمع بفئاته وشرائحه للحد من الانحراف و تقويضه و القضاء عليه.

قضايا الجريمة و الانحراف في المجتمع:

يرتبط تاريخ الجريمة بتاريخ البشرية والوجود البشـــري، وقـــد اختلـــف الباحثون و العلماء في أسبابها فمنهم من رأى أنها موروثة و متأصلة في الإنســـان ومنهم من رأى أنها سلوكا مكتسبا. السلوك الإجرامي يتمثل عادة في مجموعة من الميول القوية التي تعمل بطريقة مضادة لقوانين المجتمع وقيمه ومبادئـــه وعاداتـــه. وتتصف شخصية المجرم بالانطواء والعدوانية واللامبـــالاة العاطفيـــة، والأنانيـــة والسقوط في الرذيلة...الخ.

أما عن ماهية الجريمة فتعرفها الدكتورة شمعون على النحو التالي:

هي الخروج عن المبادئ و قواعد السلوك التي يحددها و يرسمها المجتمع لأفراده. و هي من الوقائع الاجتماعية التي لازمت المجتمعات البشرية منـــذ أقـــدم عصورها و عانت منها الإنسانية على مر الأجيال. و هي ليست فعلا مطلقا بـــل فعلا نسبيا تحدده عوامل كثيرة كالزمان و المكان و الثقافة". (شمعون، 1995: 80).

تعتبر قضايا الجريمة والعنف والانحراف من المشاكل التي تعاني منها مختلف المجتمعات، فهي قضايا وحوادث تفرزها عوامل عدة كالبيئة والوسط الاجتمـــاعي والتنشئة الاجتماعية والشخصية والحرمان. ومن الأسباب التي تفـــرز الجـــرائم و الانحراف ما يلي:

- اضطراب التنشئة الاجتماعية.
- سوء التعاطي مع العوامل الحضارية و الثقافية.
- سوء التوافق المدرسي.
- الاضطرابات الأسرية.

- الصحبة السيئة و رفاق السوء.
- انهيار القيم المعنوية و الدينية و الخلقية.
- مشكلات الأقليات الاجتماعية.
- سوء الأحوال الاقتصادية.
- الكوارث الاجتماعية و حالات الحرب.
- سوء التوافق المهني.
- تدهور نظام القيم.
- التعصُّب و استغلال الدين.
- الحي و مستوى الجيرة.
- الطبقة الاجتماعية الدنيا والتفاوت بين الرغبة فيما هو مستحب و بين ما هو حاصل. (شكور،1997: 7-8).

والملاحظ أن مظاهر العنف و الجريمة تتزايد و تتضاعف و تحوز في غالب الأحيان على اهتمام وسائل الإعلام في نقلها و تقديمها للجمهور. فمرض العنف و الجريمة و الفعل الجانح أصبح مرض القرن الحادي و العشرين، يتطلب تعاون و تضـــامن الجميع من أجل تقويض هذه الظاهرة التي يخشى من انتشـــارها واســـتفحالها أن تقضي على أسس البناء الاجتماعي السليم.

الصناعة الإعلامية: الانتقاء،إعادة العرض و التأثير:

المنتج الإعلامي ليس قطعة حلوة و لا هو علبة شامبو وإنما هو منتج يحتوي على المعلومات و الأخبار و القيم و الأفكار و الأيديولوجية و نمط تفكير ومعيشة ناس و شعوب و دول و أمم و حضارات. و عملية صناعة المنتج الإعلامي تخضع

3. التشخيص (ثقافة الشخصية/ المشاهير)
4. التبسيط (إلغاء الأساسيات و التركيز على القشور)
5. الكشف عن الممنوع (قراءة المستقبل)
6. التمسك بالتقاليد (سيطرة الأيديولوجية)
7. الوصول المهيكل (الخبراء، قاعدة القوة، السلطة)
8. الجدة، البدعة (زاوية جديدة،التخمين،التحريف)

. (Chibnall, 1977:23)

من خلال نموذج كوهن و يونغ و نموذج تشيبنال نستنتج أن تغطية الجريمة و العنف و الإثارة في وسائل الإعلام المختلفة هي عملية إعادة بناء الواقع وفق مصالح و أهداف معينة. كما أن القيم الخبرية بصفة عامة هي آليات و معايير تحددها القيم التجارية و المالية و السياسية في المجتمع. و هنا يفرض السؤال التالي نفسه: هل تغطية الجريمة و الجنس و العنف هي ممارسة إعلامية من أجل تحقيق غاية الحد من الجريمة و زيادة وعي أفراد المجتمع لتجنبها؟ أم الهدف هو الإثارة والغرابة والآنية و الحركة من أجل استقطاب أكبر عدد من الجمهور لزيادة المبيعات و الإعلانات و الكسب؟

مظاهر العنف في وسائل الإعلام:الجريمة و الانحراف كقيم خبرية:

منذ العشرينات من القرن الماضي أهتم العلماء و الباحثين في شؤون الإعلام و الاتصال بإشكالية مظاهر العنف و الجريمة و تأثيراتها على الجمهور. (The Payne Fund Studies) و توصل عدد منهم إلى أن تأثيرات مظاهر العنف و الجريمة في وسائل الإعلام و خاصة التلفزيون تشجع على ارتكاب الجريمة. في حين حذرت مجموعة أخرى من الباحثين من التعميم و ضرورة الحذر، حيث أن فعل

الجريمة تتحكم فيه عدة عوامل –اقتصادية و اجتماعية وشخصية و نفسية و تربوية و دينية ...الخ. فالتلفزيون لا يستطيع أن يكون في أي حال من الأحوال هو المسبب الوحيد لارتكاب الجريمة. (Lowery & Defleur,1983: 122).

في لغة الإعلام و الاتصال الجماهيري تعتبر الوقائع و الأحداث التي تخرج عن المعهود و عن المألوف مادة دسمة لوسائل الإعلام. فالإثارة والغرابة والجريمة و العنف كلها مواد تستقطب جمهور القراء و المشاهدين و المستمعين. فوسائل الإعلام تبحث على ما يشبع جمهورها بغض النظر عن الانعكاسات والنتائج. و قلما نجد مؤسسة إعلامية تفكر و تأخذ بعين الاعتبار ما قد يترتب على ما تقدمه من رسائل للجمهور.

من جهة أخرى يجب أن نعترف أن وسائل الاتصال الجماهيري هي عبارة عن مرآة عاكسة لما يحدث و يدور في المجتمع. فالجريمة و الانحراف مادة تستقطب الجمهور لعدة اعتبارات و أسباب منها الفضول و منها شخصية المتلقي و منها العادة. حيث نلاحظ هنا أن وسائل الإعلام الجماهيري استطاعت أن تغرس قيما معينة عند الجمهور.

تأثير وسائل الإعلام على الجمهور:

- **المدرسة البيولوجية التكوينية:** ترى هذه المدرسة أن السلوك الجانح و العدواني عند الفرد هو فطري و بالغريزة. و ضع الأسس العلمية لهذه المدرسة كل من "لمبروزو" و "سيغموند فرويد" و غيرهم حيث يرون أن الغرائز الفطرية هي التي تدفع الفرد إلى السلوك العدواني.

- **المدرسة الاجتماعية:** تربط هذه المدرسة فعل الجريمة بالمجتمع، حيث أن الفرد مقابل انتمائه و عيشه في بيئة اجتماعية معينة يتفاعل في نسيج اجتماعي و ثقافي و سياسي و اقتصادي معين و قد يتصرف و يقوم بسلوك معين وفق ما هو متعارف عليه في المجتمع. فحسب "دوركايم" سبب الجريمة هو التنظيم الاجتماعي و ثقافة المجتمع و قيمه و مبادئه. فالجريمة يفرزها المجتمع قبل أن يرتكبها الفرد.

دور وسائل الإعلام في نشر العنف:

تؤمن هذه النظرية بفرضية أن وسائل الإعلام بتغطيتها للعنف و الجريمة تعمل على نشر العنف في المجتمع، حيث أن الجمهور يتأثر بما يشاهده أو يتعرض له في وسائل الإعلام و من خلال التقليد و النمذجة يقبل الجمهور على ارتكاب الجريمة.

النظريات المفسرة للعنف و الجريمة في وسائل الإعلام:

نظرية التطهير: تنطلق هذه النظرية من فرضية أن التعرض للجريمة والعنف في وسائل الإعلام يقلل من حاجة الإنسان إلى العدوان. و تقوم على فكرة التطهير التي تفترض أن الإحباط و الظلم يولد الميل نحو العدوان عند الفرد ويمكن إشباع هذا الميل بالعدوان المباشر أو بمشاهدة الآخرين يرتكبون الجرائم ويقومون بالعدوان. فالتعرض لأعمال العنف في وسائل الإعلام يمكن أن يخفض من حاجة الإنسان إلى العدوان.

فأفلام العنف تساعد على امتصاص قابلية ارتكاب العدوان و العنف والجريمة عند بعض الجمهور، كما تؤدي إلى تخفيض القلق و التوتر. Dorr & (Kunkel,1990: 5-25)

نظرية الاستثارة: تنطلق هذه النظرية من فرضية أن التعرض لحافز أو مثير عدواني يفرز الإثارة السيكولوجية عند الفرد.. و هذه الإثارة بإمكانها من زيادة احتمالات قيام الفرد بتصرف عدواني. أكدت العديد من الدراسات التي تبنت هذه النظرية (Berkowitz, Liebert et al., Hiebert et al., Parke, Eron, Milavsky, Dor, Becker) توصلت إلى نتائج مفادها أن المادة الإعلامية التي تحتوي على الجريمة و العنف تؤدي إلى استثارة المشاهدين نفسيا و عاطفيا وتهيء لديهم شعورا وقابلية بإمكانية الاستجابة العدوانية لما شاهدوه. ومن أطروحات هذه النظرية والنتائج التي توصلت لها الدراسات أن العنف المبرر يؤدي إلى تقبل العدوانية في الواقع. كما أن مشاهدة العنف والجريمة والعدوان تزيد من العدوان في الحياة العملية لدى عدد كبير من الناس. كما توصلت العديد من الدراسات إلى وجود علاقة إرتباطية بين السلوك العدواني لدى الأطفال، ومشاهدة مواد العنف في السينما و التلفزيون.

نظرية التدعيم: يرى "كلابر" أن مجرد التعرض إلى مظاهر الجريمة والعنف في وسائل الإعلام لا يؤدي بالضرورة إلى ارتكاب الجريمة. و من خلال دراساته العديدة خلص "كلابر" إلى أنه لا يمكن الحديث عن تأثير مباشر للتلفزيون إلا على الأشخاص ذوي القابلية النفسية والسيكولوجية للعدوان قبل التعرض لوسائل الإعلام. فحسب "كلابر" يعتبر التلفزيون أحد العوامل و ليس العامل الوحيد للتأثير في الفرد لارتكاب الجريمة أو السلوك العدواني. وكإعلامي وكباحث اقترح "كلابر" مجموعة من المبادئ الأساسية التي يجب أخذها بعين الاعتبار عند دراسة تأثير تغطية الجريمة و العنف في وسائل الاتصال الجماهيري في السلوك العدواني للجمهور:

1. تنوع استجابة الأطفال للتلفزيون، و هي تنصب أساسا على الاستخدام و الإشباع و المشاركة الجماعية.
2. محتوى برامج التلفزيون ليس بالقوة و التأثير الذي يعتقده بعض المهتمين، و إنما هو أحد عوامل و مؤثرات أخرى نفسية و اجتماعية.
3. بغض النظر عن الظروف الأخرى، فإن وسائل الإعلام تميل إلى تدعيم ما هو موجود أصلا، و ليس تغيير ما هو قائم.
4. حينما يكون هناك تأثير لوسائل الإعلام، غالبا ما يكون هذا التأثير ناتجا عن متغيرات أخرى، أو حين يكون لدى الفرد رغبة حقيقية في التغيير.
5. وسائل الإعلام لها تأثير نفسي و جسماني قابل للقياس على المدى القصير.
6. يتحدد تأثير وسائل الإعلام بناء على الموقف، و المناخ الاجتماعي، و الظروف الشخصية، مثلما يتأثر بالمحتوى المقدم في وسائل الإعلام. (Klapper,1960:8-9).

نظرية النمذجة: تنطلق هذه النظرية من مسلمة التعلم الاجتماعي و دور وسائل الإعلام في التطور الاجتماعي للفرد. فوفقا لهذه النظرية فإن أفراد الجمهور في المجتمع بإمكانهم محاكاة سلوك العنف و العدوان من خلال ملاحظة الجريمة التي تقدم في وسائل الإعلام، كما يمكنهم تعديل تصرفاتهم في ضوء الشخصيات الشريرة التي تحصل على العقاب في وسائل الإعلام. فالأطفال عندما يجلسون أمام

جهاز التلفزيون و يشاهدون العنف و الجريمة على الشاشة فإنهم يحاكون كل أشكال السلوك الجديد. فالعمليات التعليمية تحدث و يتم اكتساب نماذج جديدة للسلوك السوي و غير السوي و للسلوك الذي يحدث في الواقع و الذي تصوره وسائل الإعلام في الخيال أو الواقع.

نظرية التوحد: تنطلق هذه النظرية من نظرية التقمص الوجداني في علاقاتها بوسائل الإعلام ، فهي تقوم على نظرية الاستنتاج في التقمص الوجداني و نظرية أخذ الأدوار في التقمص الوجداني. فحينما نتوقع مشاعر و أحاسيس الآخرين وسلوكهم، و حينما نخرج بتنبؤات يصبح عندنا مهارة تسمى عند علماء النفس الاجتماعي بـ "التقمص الوجداني"، أي القدرة على إسقاط و تصور أنفسنا في ظروف الآخرين. و هذا ما يحدث عادة عندما يقلد الأطفال أبطالهم في أفلام الخيال و حتى في التصوير الواقعي للأعمال العدوانية وللجرائم.

إن عملية القيام بدور و الاستنتاج تتكاملان باستمرار فهي تشير إلى أن الإنسان يكيف نفسه، و يعمل على تغيير سلوكه ليتفق مع الظروف، و المعطيات الجديدة، و الوضع الاجتماعي الذي يجد نفسه فيه، و ذلك بأن يُنّمي و يُطّور توقعات يقوم فيها بأدوار الآخرين، أو باستنتاجات، أو يقوم بالأمرين معا. نظرية التوحد تعتمد في الحقيقة على تكامل نظرية الاستنتاج في التقمص الوجداني و نظرية أخذ الأدوار في التقمص الوجداني. فالكثير من تصرفاتنا و سلوكياتنا تقوم على هذا الأساس انطلاقا مما نتعرض له في وسائل الاتصال الجماهيري، و خاصة إذا علمنا أن الطفل عندما يدرك سن الثامنة عشر يكون قد قضى من الوقت أمام شاشة التلفزيون أكثر من الوقت الذي قضاه في المدرسة. (مكاوي، ليلى السيد).

التبادل غير المتكافئ بين الشمال والجنوب : العرب والتبعية الإعلامية والثقافية

إذا تكلمنا عن الواقع الإعلامي العربي تجدر الإشارة هنا إلى التبعية الكبيرة التي تعاني منها الممارسة الإعلامية في الوطن العربي. فهناك تبعية في القيم الخبرية حيث أن مهنة الصحافة هي اختراع غربي استورده العرب من غيرهم. والوسيلة الإعلامية هي كذلك منتج غربي تم استيراده من الدول الرأسمالية المتقدمة. و في هذا الإطار نلاحظ أن نسبة كبيرة جدا مما يُنشر و يُبث في وسائل الإعلام العربية المختلفة هو مادة إعلامية مستوردة تحمل في طياتها ثقافة الأخر سواء فيما يتعلق بالقيم الخبرية أو بالمعاني و الرموز و الصور. و نلاحظ هذه الظاهرة في الأخبار و المسلسلات و الأفلام و البرامج الحوارية و الإعلانات وكل ما يمكن نشره أو بثه في وسائل الإعلام. فأفلام الكرتون التي تبثها وسائل الإعلام العربية هي في غالبيتها مستوردة، و تمثل مظاهر العنف و الجريمة فيها ما يفوق الـ 70%، و نفس الشيء يمكن قوله عن الأفلام و المسلسلات. حتى الأخبار التي يشاهدها المواطن العربي هي في معظمها من صنع الآلة الإعلامية الغربية التي "تفبرك" و تصنع و تركب و تعيد التركيب و تعيد التمثيل وفق قيم و نظم واعتبارات وآراء و معتقدات و أيديولوجية و أهداف و مصالح الولايات المتحدة الأمريكية و الدول الغربية التي تسيطر على صناعة الأخبار والأفلام والمسلسلات و الإعلانات و المنتجات الثقافية المختلفة. فالمواد الإعلامية و الثقافية ليست بريئة و إنما هي منتجات تعبر عن فكر و اتجاهات و آراء و مواقف.

ثارت ضجة كبيرة في بداية السبعينات في المحافل الدولية وفي الأوساط الإعلامية العالمية حول ما كان يسمى وما زال النظام الإعلامي الدولي الجديد. واستعملت دول العالم الثالث وخاصة دول عدم الانحياز منبر اليونسكو بزعامة

"امادو محتار مبو" للهجوم على الوضع غير المتكافئ ، وغير العادل لتدفق الأخبار والمعلومات والبرامج بين دول الشمال ودول الجنوب. وطالبت الدول النامية ضرورة تصحيح هذا الوضع بين دول الشمال ودول الجنوب،. والعمل على احترام القيم والعادات والتقاليد في الدول النامية. ومن بين الإجراءات التي اتخذتها دول عدم الانحياز إنشاء مجمع وكالات أنباء عدم الانحياز وهذا كبديل للوكالات العالمية للأنباء التي تسيطر على 90% من الأخبار الدولية. وضمن هذه الاحتجاجات والمطالب المختلفة من قبل الدول النامية رفضت الولايات المتحدة ومن كان وما زال يدور في فلكها فكرة النظام الجديد حيث اعتبرته تدخلا سافرا في حرية الصحافة وفي التدفق الحر للمعلومات.

علقت الآمال على مجمع وكالات دول عدم الانحياز والمجهودات الفردية والتعاونية المشتركة للكثير من الدول المتضررة من السيطرة المطلقة للدول العظمى على المنتجات الإعلامية و الصناعات الثقافية العالمية. لكن هذه الآمال باءت بالفشل حيث انهار النظام الإعلامي الدولي الجديد قبل أن يُولد وفشل المجمع حتى في عملية توفير المعلومات عن الدول الأعضاء وفي حقيقة الأمر كانت الدول النامية في معظمها بحاجة إلى نظام إعلامي وطني تستطيع من خلاله ترتيب بيتها وترتيب التدفق الإعلامي داخل حدودها. وهكذا فشلت دول العالم الثالث في تحقيق مطلب مهم ورئيسي لأنها لم تؤمن بضرورة تغيير الطرق والإجراءات والمناهج وراحت ضحية للشعارات والأماني والعواطف. وجاءت الثمانينات بالقنوات الفضائية العربية حيث تكاثرت وانتشرت وأصبحت جزء من السيادة الوطنية ومن الوجود الثقافي الوطني. وجاءت هذه القنوات حسب السياسيين وأصحاب القرار للرد الاعتبار ولمواجهة الغزو الثقافي وللتعبير عن الذات. أقبلت معظم الدول العربية

على شراء التكنولوجيا واكتساب كل التقنيات والوسائل اللازمة والضرورية للبث والوصول إلى مختلف بقاع العالم.

ما هي المشاريع الإنتاجية التي وضعتها القنوات الفضائية لبثها للجمهور وما هي الموازنات التي خصصتها لعملية الإنتاج ؟ وبطبيعة الحال لا يمكننا أن نتكلم عن الوجود الثقافي وعن الهوية الثقافية بدون إنتاج إعلامي وثقافي جيد لنقدمه للآخرين. وهكذا نلاحظ أن ساعات البث في التلفزيونات العربية قد زادت عشرات المرات بينما بقي الإنتاج على حاله وفي بعض الأحيان تراجع. ومن هنا أصبح حجم الثقافة العربية محدودا جدا مقارنة بالمسلسلات المكسيكية والبرازيلية المد بلجة ناهيك عن منتجات هوليود وبوليود وإشكالية الإنتاج تتحدد في عامل الموازنة والتكلفة حيث أن الكثير من القنوات الفضائية تجري وراء الربح دون الأخذ بالبعد الثقافي والحضاري والمسئولية الاجتماعية التي يجب أن تقوم بها. وهكذا وبعملية حسابية بسيطة جدا نجد أن شراء مسلسل أجنبي قد لا يتجاوز المائة ألف دولار أما إنتاج مسلسل عربي قد يتعدى عشرات الملايين من الدولارات وهكذا فإن معادلة الربح تفرض على مسئول القناة أن يتوجه إلى أقل تكلفة و أكبر ربح. وإذا كان الإنفاق الإعلاني محدود والرعاية منعدمة فإن موازنة الإنتاج ستكون محدودة وبذلك تلجأ القناة الفضائية إلى استيراد المعلب والجاهز والمد بلج لملء ساعات البث الطويلة والمتكررة. علما أن هذا المعلب و المدبلج يحمل في طياته قيما دخيلة و نسبة كبيرة من العنف و الجريمة و السلوك العدواني.

لقد أدى التطور التكنولوجي السريع إلى غزو الفضاء وتقليص المسافات وعالمية الكون حيث أصبحت القرية العالمية حقيقة وغزت ثقافة "الماكدونالد" مختلف بقاع العالم وجاءت ثقافة النظام الدولي الجديد لتفرض ثقافة موُحدة على

العالم. بطبيعة الحال هذه الثقافة تقودها الشركات المتعددة الجنسيات التي تسيطر على المركب الصناعي العسكري الاتصالي. وهذه الشركات تنشر عبر وسائل الإعلام العالمية الثقافة العالمية التي تنفي الثقافات الأخرى وتنشر الثقافة التي تخدم أهداف ومصالح هذه الشركات. وجاءت الفضائيات العربية، ونظرا لغياب خطة إنتاجية مدروسة، ونظرا لغياب موازنة معتبرة فإنها وجدت نفسها فرعاً من فروع هذه الشركات المتعددة الجنسيات تعلن عن منتجاتها وتروّج لسلعها وقيمها وأفكارها. وأصبحت دون أن تدري صندوق بريد يستعمل لتوزيع منتج الآخرين. فبدلا من مواجهة الغزو والقيم الدخيلة ونشر الثقافة المحلية والقيم العربية الإسلامية أصبحت القنوات العربية، من خلال المنتجات المعلبة وسائل تابعة تدور في فلك آلة إعلامية عالمية تروّج لأفكار و مبادئ و قيم و مصالح الأقوى اقتصاديا وسياسيا على المستوى العالمي. والجدير بالذكر هنا هو كيف نقاطع الثقافة العالمية وكيف نستطيع أن نستفيد منها والمحافظة على ثقافتنا وتراثنا وحماية هويتنا الوطنية، والإجابة هنا تكمن في الإنتاج والعمل واستغلال التكنولوجية والعلم لخدمة التنمية المستدامة و تطوير الموارد البشرية و تنمية الفرد.

أدت العولمة وسيطرة الشركات المتعددة الجنسيات على الصناعات الثقافية إلى ضياع الفضائيات العربية في ثقافة التسلية والتسطيح والتهميش حيث التركيز على البرامج الخفيفة من منوعات وسباق الأغاني ومسابقات وبرامج تهدف إلى سد الفراغ وملء أوقات البث .. الخ، هذا بطبيعة الحال على حساب البرامج الجادة التي تعالج القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الحساسة والتي تساهم في إشراك الجماهير في الحياة الاجتماعية والسياسية و الاقتصادية و في عملية التنمية المستدامة. باختصار أن بعد المسئولية الاجتماعية يكاد ينعدم في القنوات الفضائية العربية

والتركيز يكاد يتمحور حول البعد الترويجي و التسويقي و التجاري- الإعلانات - وبعد الولاء السياسي الذي يعمل على ترسيخ النظام وتبريره وتمرير خطابه السياسي بغض النظر عن أي اعتبار آخر.

فانهيار النظام الإعلامي الجديد في مهده كان تجربة خاسرة و فاشلة لدول العالم الثالث وجاءت تكنولوجيا البث الفضائي وتكرر فشل الدول العربية والدول النامية في استعمال هذه التكنولوجيا وفي استعمال الإعلام لتكوين الرجال ولفرض الذات ولاستعمال هذه الوسيلة الاستراتيجية في خدمة التنمية الشاملة. وهكذا أدت ثورة المعلومات والثورة التكنولوجية الإتصالية إلي إلغاء الهويات الثقافية ونشر ثقافة "الكوكاكولا" و "الميكي ماوس" و "الهامبرغر" و ثقافة العنف و الجنس والجريمة و السلوك العدواني، والغريب في الأمر أن وسائل الإعلام العربية تساهم في هذه العملية بكل افتخار واعتزاز.

السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو ماذا قدمت الفضائيات العربية للطفل العربي، وإذا علمنا أن القنوات الأرضية قد فشلت في تقديم مادة جيدة و مدروسة للطفل العربي فإن القنوات الفضائية لم تكن احسن ، فمثل نظيراتها الأرضية فإنها تعتمد على الاستيراد وعلى المادة اليابانية أو الأمريكية التي تحمل في طياتها الكثير من القيم والأفكار والعادات و التقاليد البعيدة كل البعد على هذا الطفل البريء الذي يقضي وقتا طويلا أمام الشاشة والأخطر من ذلك انه يقضي هذا الوقت في معظم الأحيان بعيدا عن مراقبة وتوجيه الأولياء. وأكدت الدراسات الإعلامية أن محتوى أفلام الكرتون الأجنبية 70% منه يركز على العنف والأنانية والقوة وتقنيات الحروب و السلوك العدواني و إقصاء الأخر..الخ. وهنا نلاحظ أن القنوات الفضائية

لم تضع برنامجا إنتاجيا مدروسا لفئة الأطفال بالرغم من أنها تخصص وقتا لا يستهان به للبث لهذه الفئة.

لقد حان الأوان للتفكير جليا في وضع استراتيجية إعلامية تقوم على الدراسة والبحث وتنبعث من المجتمع بخصائصه وأبعاده ومشاكله. فالقنوات الفضائية كلفت ميزانيات الدول العربية الكثير لكن ما هي الفوائد التي قدمتها للمجتمع؟ وما هي الوظائف التي تقوم بها لخدمة للتنمية ولتكوين الإنسان؟ والخطوة الأولى التي يجب القيام بها هي تحديد استراتيجية مدروسة للإنتاج بمختلف أنواعه وأشكاله ولمختلف أنواع الجماهير، أما الخطوة الثانية والتي لا تقل أهمية عن الخطوة الأولى هي ضرورة القيام بدراسات وأبحاث لتحديد خصائص الجمهور وأولويات الإنتاج والحاجات كما يجب كذلك دراسة كيفية تطوير وتنمية الصناعات الثقافية وكيفية تمويلها و رعايتها حتى تكون في مستوى طموحات الفرد و المجتمع و حتى تستجيب للمقاييس العلمية.

يزيد عدد سكان العالم العربي على 300 مليون نسمة وهذا يعني جمهورا كبيرا ومعتبرا يستدعي من الدول العربية التفكير في التعاون والتبادل والإنتاج المشترك خاصة إذا علمنا أن الجميع يتقاسم اللغة والتاريخ والدين. فالعيب ليس في الصناعات الثقافية الغربية أو في أمريكا أو أوروبا أو اليابان ، العيب يكمن في عملية الاستهلاك بدون الإنتاج و الاعتماد على ثقافة الاستهلاك التي تفرز التبعية و الإتكالية و الاعتماد على الغير الذي يُروّج و يُسوّق سلعه وأفكاره وقيمه.

العنف التلفزيوني و السلوك العدواني عند الأطفال:

نزل الخبر كالصاعقة، تلميذان يطلقان النار على زملائهم و أساتذتهم فيقتلون أربعة من زملائهم و مدرسة الإنجليزية ،أحدهم يبلغ من العمر 13 سنة

والأخر 11 سنة . حدث هذا في قرية "جونسبورو" الصغيرة بولاية "أركانسو" بالولايات المتحدة الأمريكية في 25 مارس 1998م ، و منذ أكتوبر من سنة 1997 تحدث مثل هذه الجرائم للمرة الرابعة من طرف أطفال المدارس في أمريكا. الواقعة أحدثت ضجة في الرأي العام الأمريكي و خاصة في الأوساط التربوية و العلمية و البيداغوجية ظاهرة غير سوية بطبيعة الحال،و السؤال الذي طرحه و يطرحه العام و الخاص هو ما هي أسباب هذا السلوك العدواني و هذا العنف في أوساط أطفال صغار لم يبلغوا سن الرشد بعد؟ من هو المسؤول؟ و ما هي الأسباب الحقيقية لمثل هذه السلوكيات و التصرفات؟ بعض أصابع الاتهام وُجهت كالعادة للتلفزيون كوسيلة إعلامية يقضي الأطفال في أمريكا و في مختلف دول العالم وقتا طويلا أمامه يتراوح ما بين الأربع ساعات و يصل بعض الأحيان إلى الثمانية . الدراسات أكدت أن الأطفال يقضون وقتا أمام شاشة التلفزيون يوازي نفس الوقت الذي يقضونه في المدرسة. أين الحقيقة في هذا الاتهام و هل هناك علاقة ارتباطية بين المادة الإعلامية التي تحتوي على الجريمة و مظاهر الانحراف و ممارسة العنف في الواقع؟ أم هناك أسباب أخرى يجب أخذها بعين الاعتبار لتفسير السلوك العدواني و غير السوي عند الأطفال.

الموضوع ليس بهذه البساطة و هذه السهولة و إنما يتطلب البحث في جذور المشكلة و في الأسباب المختلفة التي تؤدي إلى السلوك العدواني. و بداية يجب تسليط الأضواء على بعض النظريات التي حاولت أن تشرح و تفسر العلاقة بين الوسيلة الإعلامية و سلوك الفرد و كذلك نظريات العنف التي حاولت أن تحدد التأثيرات المختلفة للرسالة الإعلامية على سلوك و تصرفات الأفراد و ما هي

المستلزمات و الشروط التي يجب أن تتوفر حتى يكون هناك رد فعل و استجابة لمنبه.

من الرعيل الأول لنظريات الإعلام والاتصال الجماهيري، نظرية الرصاصة أو نظرية الإبرة تحت الجلد التي كانت تؤمن إيمانا راسخا بوجود علاقة إرتباطية قوية بين الرسالة الإعلامية و سلوك الفرد. و من هذا المنطلق فإن السلوك الإجرامي للتلميذين في قرية "جونسبورو" يعود بالدرجة الأولى إلى مشاهد العنف التي تقدمها أفلام الكرتون و غيرها من المواد التي يقدمها التلفزيون للأطفال في أمريكا. فنظرية الرصاصة تؤمن بالجمهور السلبي و بأن سلوك الإنسان ما هو إلا استجابة للمنبه، و قد يكون المنبه هنا الرسالة التي تقدمها الوسيلة الإعلامية. لم تعمر نظرية الرصاصة كثيرا نظرا للمسلمات الخاطئة التي انطلقت منها و جاء الواقع ليبرهن على أن ليس كل ما يقدم من خلال وسائل الإعلام و خاصة التلفزيون يعتمده المشاهد. و هكذا لم تستطع نظرية الرصاصة أن تفسر و تحدد علميا علاقة الوسيلة الإعلامية بسلوك الفرد.

دراسة سلوك الإنسان ليست بسيطة و إنما تصرف الفرد يخضع لعدة معطيات و عدة عوامل و لا يمكن إرجاعه إلى عامل واحد كأفلام العنف التي تقدم في التلفزيون. أضف إلى ذلك أن الفرد يخضع لعدة عوامل اجتماعية وتربوية و عائلية و دينية و اقتصادية و نفسية و غيرها تتحكم و تؤثر في سلوكه بطريقة أو بأخرى. لا يمكن أن يتحمل التلفزيون وحده مسؤولية حادثة "جونسبورو" رغم أنه يعتبر أحد العوامل المحورية التي تسببت في الجريمة.

علماء النفس و علماء الاجتماع و غيرهم في الولايات المتحدة الأمريكية يؤكدون على الظروف الصعبة التي يعيش فيها الطفل الأمريكي من سوء المعاملة و

انعدام الاهتمام و الحب و العطف و الحنان، و كذلك المعاناة من انهيار العائلة والمادية و الأنانية . فواحد من خمسة أطفال في أمريكا يعيش في الفقر و واحد من أربعة يولد بطريقة غير شرعية. فمثل هذه العوامل تترك أثارا جد سلبية على الأطفال خاصة إذا غذها عوامل أخرى كالإقبال على الكحول و المخدرات والجنس و غيرها من السلوكيات الشاذة، و كذلك إذا غذها مواد إعلامية تستخدم العنف و الجريمة.في هذه الحالة تتشابك العوامل و تنصهر و تجعل من الطفل أو الشاب التائه،الضائع منحرفا و مجرما و شريرا يكون وجوده خطرا كبيرا على المجتمع.

حسب الإحصائيات الرسمية نصف المجتمع الأمريكي يملك سلاح معين سواء كان مسدسا أو بندقية أو رشاشا...الخ، و في معظم الأحيان تترك هذه الأسلحة في أماكن يصل إليها الأطفال بسهولة كبيرة. فالأمر إذن أهم و أخطر من أن يكون السبب في حادثة "جونسبورو" هو التلفزيون لكن الأسباب هنا معقدة ومتشابكة و لا يمكننا أن نرجعها إلى عامل واحد.

نظريات الاتصال التي درست ظاهرة العنف كما تعرض في وسائل الإعلام المختلفة و كسلوك يسلكه بعض الأفراد أكدت أن نسبة كبيرة جدا - حوالي 80% - من المواد التي يبثها التلفزيون الأمريكي هي مواد تحتوي على مشاهد العنف وهذا يعني أن هناك مشكل في القيم الخبرية و في المادة الإعلامية التي تقدم للفرد الأمريكي و هناك نوع من التأثير أو من العلاقة بين ما تقدمه وسائل الإعلام و سلوك أفراد المجتمع الأمريكي.فإذا كانت هذه النسبة العالية تقدم باستمرار وبانتظام فهذا يعني أن مظاهر العنف و ثقافة العنف أصبحت جزءا لا يتجزأ من حياة الفرد و قيمه و معتقداته و مرجعيته. و هنا تجدر الإشارة أن أكثر من 1000

دراسة أجريت عن علاقة مظاهر الجريمة و العنف و الانحراف في وسائل الإعـــلام الجماهيري و السلوك الإجرامي و العدواني للفرد، حيث أكـــدت كـــل هـــذه الدراسات العلاقة الارتباطية بين مشاهدة العنف و السلوك العدواني.

و إذا كان الطفل معرض لسيل جارف من العنف و الجريمة و السلوك العدواني في المواد التلفزيونية التي يشاهدها و إذا كان يترك وحده و بدون توجيه و مراقبة في مشاهدة التلفزيون و التعرض لألعاب الفيديو، ففي هذه الحالة احتمالات الانحراف تكون مرتفعة جدا. و في هذه الحالة تنسحب نظريـــة إثـــارة الحـــوافز العدوانية حيث أن المثابرة على مشاهدة العنف من خلال المـــواد الـــتي يقـــدمها التلفزيون تؤدي إلى ارتفاع حدة الإثارة النفسية والعاطفية عند المتلقي و هذا مـــا يؤدي إلى حدوث السلوك العدواني. و تتلاحم عوامل عدة منها الإحباط والشعور بالتهميش و سوء المعاملة و انعدام الحنان وغياب العطف العائلي والفراغ الروحي كل هذه العوامل مشتركة إضافة إلى التعرض للعنف التلفزيوني تؤدي في النهاية إلى تقليد في أرض الواقع ما شاهده الطفل في الدراما التلفزيونية و في أفلام الخيـــال و أفلام الكرتون.

من هنا نلاحظ أن حادثة "جونسبورو" لم تأت من العدم و إنما كانـــت هناك معطيات عديدة أدت إلى حدوثها، و هنا نلاحظ كذلك انسحاب نظريـــة التعلم من خلال الملاحظة و التي تؤكد على أن الأفراد يتبنون و يتعلمون الســـلوك العدواني من خلال تعرضهم للتلفزيون و يعملون على تقليد و تنميط تصـــرفاتهم حسب سلوكيات بطل أو أبطال الفيلم. و الاستمرارية في المشاهدة و تعاطي أفلام العنف تؤدي إلى الهروب من الواقع و تبني حياة الخيال و مناخ العنف و الجريمـــة والسلوك العدواني و يصبح الفرد يعيش في عالم بعيد عن الواقع و العالم الحقيقـــي

الذي يعيش فيه البشر. و يلجأ الأشخاص إلى تقمص شخصيات الأفلام و لا يفّرقون بين الدراما و الخيال و الواقع و يبررون فشلهم بالهروب من الواقع والانتقام من المجتمع بكل مكوناته المادية و البشرية. فطفل الثالثة عشر ربيعا أنتقم من زملائه و من المدرسة بحجة أن صديقته رفضته و قررت أن تقطع علاقتها معه. و ممارسة العنف هنا ينظر لها على أساس أنها أسلوب حياة ناجح لمواجهة التهميش و الفشل و المشاكل الاجتماعية و النفسية.

كما يرى فريق من الباحثين في الاتصال الجماهيري و في علم النفس أن المادة الإعلامية التي تقدم العنف و السلوك العدواني تعزز و تدعم أنماط السلوك الموجودة أصلا عند المستقبل. و ترى نظرية التعزيز هذه أن التعرض للعنف في التلفزيون يؤكد صحة الاتجاه العدواني الموجود عند الشخص. و هنا يجد المتلقي الراحة النفسية عندما يجد التطابق في الاعتقادات و القيم و التصرفات الموجودة عنده و المتشبع بها و تلك التي تعرضها وسائل الإعلام مزخرفة بطبيعة الحال بالخيال و الدراما و إلى غير ذلك. و هنا يجد المشاهد ضالته و يعزز قناعاته وميوله و رغباته حيث يتبادر له أنه على صواب و باقي المجتمع على خطأ.

جريمة "جونسبورو" تثير الكثير من التساؤلات و تكشف عن تناقضات عدة يعيشها مجتمع نالت منه الأنانية و المادية و حب النفس و الفراغ الروحي والتشتت العائلي و الجريمة و العنف و الفضائح. هذه الظاهرة لا ينفرد بها المجتمع الأمريكي لوحده و إنما معظم دول أمريكا اللاتينية و أوروبا و الكثير من دول العالم الثالث تعاني من نفس المشكل. ففي فرنسا على سبيل المثال شهدت المدارس الفرنسية في العام 1997 أكثر من 1000 حادث عنف. و حسب الخبير و الأستاذ في علم التربية البروفيسور جاك باين فإن " العنف ضد المؤسسات التربوية يبرز

فقدان الثقة في المؤسسات و في الكبار و في المجتمع ككل" فانعدام الثقة في المستقبل و انتشار البطالة و الفوارق الاجتماعية و تباين الطبقات هذه العوامل كلها تؤدي إلى إحباط نفسي خطير من شأنه أن يولّد الحقد و الكراهية ضد النظـــام و كـــل مقومات المجتمع و عناصره و مكوناته و أتباعه.

التلفزيون إذن ليس هو المتهم الوحيد في حادثة "جونسبورو" و إنما هـــو أحد المتسببين الرئيسيين في العملية الإجرامية إضافة إلى عوامل نفسية و اجتماعية واقتصادية و دينية و روحية. واللوم الذي يمكن توجيهه إلى المسؤولين على البرامج التلفزيونية و على الصناعات الثقافية بصفة عامة هو التخلص من ثقافة التجارة و " الشاو بيز" و الاهتمام أكثر فأكثر بالمجتمع و قيمـــه. فبالنســـبة لتجـــار الـــدراما التلفزيونية، الموضوع يتمثل في استغلال المراهقة و العواطف عند الشباب و هذا من خلال الإثارة و العنف و الجريمة و الجنس و الفضائح للوصول إلى أكبر شريحة في المجتمع، ف"الجريمة تبيع و تساعد على الترويج و التسويق". وهكـــذا أصـــبحت علامة النجاح في الإبداع الفني و الإنتاج الثقافي مرتبطة ارتباطا عضـــويا ووثيقـــا بالعنف و مشتقاته. السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو على حساب من؟ و لصالح من؟

الدروس المستخلصة من أبحاث و دراسات العلاقة بين العنف في التلفزيون والسلوك العدواني:

أحصى الباحثون و المختصون في دراسات تأثير العنف و الجريمة في وسائل الإعلام الجماهيري على سلوك الفرد أكثر من ألف دراسة أجـــري معظمهـــا في الولايات المتحدة الأمريكية. و تجدر الإشارة هنا إلى ندرة مثل هذه البحـــوث في الوطن العربي و كذلك قلة و في الكثير من الأحيان انعدام اهتمـــام الحكومـــات

والسلطة و الجهات المعنية (وزارة الصحة، وزارة التربية، وزارة الإعلام والثقافة) بمشكلة العنف في وسائل الإعلام الجماهيري، كما نلاحظ غياب شبه تام للمجتمع المدني في مناقشة هذه المشكلة و طرحها على الرأي العام و على الجهات المسؤولة في المجتمع.

تؤكد البيانات العلمية أن العنف التلفزيوني يشجع على القيام بالسلوك العدواني و يؤدي إلى مضاعفته. فالدراسات التي اعتمدت التجارب الحقيقية أظهرت أن تعرض الأطفال للعنف التلفزيوني يؤدي بهم إلى السلوك العدواني مباشرة بعد ذلك. أما الدراسات البينية فقد أكدت أن الأطفال الذين يشاهدون العنف في التلفزيون أكثر هم نفسهم الذين يقومون بسلوك عدواني أكثر. أما الدراسات الميدانية الطولية فقد استنتجت أن الأطفال الذين كبروا على مشاهدة العنف في التلفزيون بكثرة أنهم هم الذين تميزوا بسلوك عدواني في طفولتهم و في مراهقتهم و بداية رشدهم. خلاصة القول أن الدراسات المختلفة – من حيث مناهج البحث والمقاربات – أكدت أن هناك علاقة ارتباطية بين مشاهدة العنف في وسائل الإعلام و القيام بالسلوك العدواني تتراوح ما بين 0.32 و 0.10 و 0.28. فالعنف التلفزيوني يؤدي بالأطفال إلى القيام بتصرفات عدوانية في طفولتهم، ومن ثم ينمو هذا السلوك معهم في مرحلة المراهقة و بداية مرحلة الرشد.

و من أهم النتائج التي خلصت إليها الدراسات التحليلية الما ورائية Meta-analytical Studies التي اهتمت بدراسة إشكالية الجريمة و العنف في وسائل الإعلام و تأثيرها على سلوك الجمهور ما يلي:

- الحاجة إلى الاهتمام أكثر بدراسة تأثير العنف التلفزيوني على الأطفال بدلا من التركيز على تأثير العنف التلفزيوني على المراهقين و الراشدين. حيث أن التأثير طويل المدى يحدث للأطفال فقط.
- العنف التلفزيوني الذي يكافأ البطل فيه هو العنف الذي يؤثر على الأطفال أكثر. فنموذج البطل الناجح عند الأطفال هو ليس ذلك الذي يسجن و يعاقب أو يعدم و إنما هو ذلك الذي يصور فائزا و ناجحا.
- يؤثر العنف في وسائل الإعلام في أي طفل من أي عائلة، و ليس فقط في الأطفال ذوي القابلية لإرتكاب العنف.
- من واجب المنتجين والإعلاميين والمسؤولين على وسائل تحمل مسئوليتهم فيما يبث و يقدم للجمهور ولا يجب إلقاء مهمة التوجيه والمراقبة على عاتق أولياء الأمور والحكومات فقط.
- يجب الاعتراف بالحقيقة الاقتصادية للعنف في وسائل الإعلام. العنف يبيع ويسوق، كما أنه يتميز بالقدرة على استقطاب المشاهدين و الجمهور، كما أن إنتاج العنف في وسائل الإعلام يكون أسهل و أرخص. .(Bushman and Huesmann, 2001:248-249)

آليات تأثير العنف التلفزيوني على السلوك العدواني:

كيف يؤثر العنف التلفزيوني في سلوك الفرد، و يزيد من السلوك العدواني عنده؟ هناك عمليات سيكولوجية تفسر جيدا الأليات التي تحدد عملية التأثير و نمو التوجه نحو ارتكاب السلوك العدواني.فمن خلال التعلم بالملاحظة من السلوك والتصرفات و النصوص يتعلم الأطفال السلوك العدواني و كذلك المواقف التي تدعم التصرفات العدوانية المعقدة. و حسب "بندورا" يقلد الأطفال أبطالهم في

الدراما التلفزيونية خاصة عندما يكافئ البطل و يحدث العكس عندما يعاقب. وتشير الدراسات إلى أن 75% من الحالات يتم فيها مكافأة البطل. من جهة أخرى،و حسب نموذج تعلم المعتقدات و المواقف يؤدي العنف التلفزيوني إلى تغيير الآراء و المواقف و المعتقدات من العنف عند المشاهدين.. هذه العملية النفسية تؤدي إلى الاعتقاد بأن العالم من حولنا أكثر عداء مما هو عليه في الواقع، و تدعم قابلية السلوك العدواني و تحجر عاطفة المشاهد و تضعف حساسيته إزاء العنف. تتدعم فكرة الخوف لدى الفرد و تقل ثقته في العالم من حوله و يسوده الخوف من الجريمة و العنف والسلوك العدواني. فالعالم يبدو خطير، غير آمن وعدائي. وفي مثل هذا الوضع النفسي السلبي و العدائي يتصرف الفرد بطريقة معادية و يشك في الآخرين و يسيء فهمهم و معاملتهم.

يفسر فهم الفرد لمحيطة بدرجة كبيرة سلوكه وتصرفاته. فمع الأسف الشديد و بانتشار العنف التلفزيوني انتشرت ثقافة العنف التي تشجع بدورها السلوك العدواني. لقد أكدت نسبة كبيرة من الدراسات أن الأطفال العدوانيين لا يعتقدون أن السلوك العدواني و العنف تصرفات خاطئة وغير مقبولة من قبل المجتمع. (Shirley, 1993, Huesmann & Guerra, 1997). فإذا أقتنع الأطفال أن السلوك العدواني هو سلوك مبرر فإنهم يتصرفون بطريقة عدوانية. فالعنف التلفزيوني يؤدي إلى تقبل السلوك العدواني و العنف. فكلما شاهدنا العنف تعودنا عليه، و كلما تكررت صوره في ذهننا من خلال التلفزيون أصبح العنف جزء منا و من حياتنا. فكلما تعود الأطفال على العنف كلما أصبحت الأمور سهلة بالنسبة لهم لإرتكاب أعمال العنف.

عملية التبرير، ظاهرة سيكولوجية، تشرح لماذا يشاهد الأفراد ذوي التوجهات العدوانية العنف في التلفزيون. مشاهدة العنف تسمح لهم تبرير سلوكياتهم و تصرفاتهم العدوانية و اعتبارها تصرفات طبيعية. فالطفل الذي يقوم بعمل عدواني، يفترض أن يتعرض للتأنيب من قبل ضميره،، لكن هذا التأنيب يزول بمجرد مشاهدة العنف في التلفزيون حيث يصبح العنف عادي و مبرر و جزء من ثقافة الطفل-ثقافة الجريمة و العنف.

وسائل الإعلام و الوقاية من الجريمة:

تفرز وسائل الإعلام المختلفة آثارا سلبية على الجمهور بتغطية الجريمة وأحداث العنف والعدوان والانحراف. بالمقابل تستطيع وسائل الاتصال الجماهيري إذا أُستعملت بطريقة علمية، منظمة و مخططة أن تسهم في الوقاية من الجريمة. فوسائل الإعلام بالتنسيق مع الجهات التي تعنى بقضايا الانحراف والجريمة والعنف كالشرطة و أجهزة الأمن المختلفة و جهاز القضاء، و المدارس وجمعيات أولياء الأمور، و الجمعيات المختلفة التي تعنى بالطفل و الأسرة، و المؤسسات الدينية و المجتمع المدني ككل، إذا كان هناك تنسيق بين الجميع و إذا كانت هناك استراتيجية للتعامل مع أسباب و جذور و انعكاسات ظاهرة الجريمة و العنف والعدوان والانحراف، فآنذاك بإمكان المؤسسة الإعلامية أن تشارك في بناء شخصية الفرد في المجتمع للتعامل الإيجابي مع الرسائل المختلفة التي يتعرض لها في مختلف وسائل الإعلام. فالمشكلة معقدة و تتحمل مسئوليتها جهات عديدة وليست المؤسسة الإعلامية فقط.

من جهة أخرى و بدلا من البكاء على الأطلال و النقد و وضع اللوم على الآخرين يجب أن نطرح السؤال التالي على أنفسنا: ماذا أنتجنا نحن العرب لقرائنا و مشاهدينا و أطفالنا سواء في الصحف أو المجلات أو القنوات الفضائية أو الانترنيت؟ أين هو البديل؟ حتى لا نستهلك رسائل لم تصمم لنا في الأساس ومنتجات إعلامية تحمل قيما وأفكارا و آراء الآخرين. وحتى ترقى وسائل الإعلام في مجتمعاتنا العربية إلى أن تلعب دورا مسؤولا وإيجابيا في التصدي للجريمة وللعنف و للعدوان يجب أن تكون في مستوى من المهنية والاحترافية ويجب أن تنتج و تصنع الرسالة التي تقدم للجمهور وفق الرؤية والأيديولوجية العربية الإسلامية. فالمؤسسة الإعلامية ليست صندوق بريد تشتري المادة المعلبة و تبثها للجمهور. وهنا تقع مسؤولية كبيرة جدا على المسؤولين في الوطن العربي للنظر للمؤسسة الإعلامية كمؤسسة تربوية تعليمية بالدرجة الأولى، و ليس النظر إليها على أساس أنها آلة تحقق الملايين من الدولارات كأرباح على حساب القيم و العادات والتقاليد و المصلحة العامة. فما يبث هذه الأيام في الفضائيات العربية يبعث على الخجل حيث نلاحظ رسائل سطحية، تبسيطية، تهميشية، برامج تخدش الحياء وإعلانات بعيدة كل البعد عن الواقع العربي و من مادة لا تعكس واقع الفرد العربي. هذه الرسائل تهدم أكثر مما تبني حيث أن هدفها الرئيسي هو الاستهلاك و البيع و الجري وراء الكسب السريع و ضمان أكبر عدد ممكن من القراء والمشاهدين للحصول على أكبر حصة من الإعلانات. فوسائل الإعلام تعتبر المنتج الحقيقي للثقافات و المعتقدات و التوجهات والمشّكل المحوري للرأي العام وهذا يعني أنه من واجبها تحمل المسؤولية و تأدية الرسالة على أحسن وجه ووفق القيم الأخلاقية والمعايير والمبادئ الإنسانية. الرقابة والتحكم المركزي ليس بالحلول

الناجعة وتتنافى وقيم الديمقراطية وحرية التعبير. جو غروبل يقترح الاستراتيجيات الثلاث التالية:

- النقاش العام والحوارات المشتركة بين السياسيين والمنتجين و المدرسين.
- تطوير مواثيق الأخلاق و الالتزام الذاتي من قبل المنتجين.
- تبني الأشكال الإبداعية في التعليم بوسائل الإعلام وتنمية الاستعمال المسئول و الواعي و الفعال عند المستعملين. (Groebel,2001:267).

الخاتمة:

استعرضت هذه الورقة الآثار السلبية لنشر قضايا الجريمة و الانحراف في وسائل الاتصال الجماهيري. فالجريمة و القتل و العنف و السلوك العدواني أصبحت تتنامى و تتزايد يوما بعد يوم و هذا ما أدى إلى تزايد اهتمام وسائل الإعلام بتغطية هذه القضايا و تقديمها للجمهور. فالمنتج الإعلامي اليوم أصبح يحتوي على مظاهر الجريمة و العنف و الجنس و الانحراف ابتداء من أفلام الكرتون إلى المسلسلات و الأفلام و الدراما و الإعلانات...الخ. و الإشكال المطروح هنا هو هل مظاهر العنف و الجريمة و الانحراف في وسائل الإعلام تؤثر في سلوك الجمهور و هل تشجع المتلقي على ارتكاب الجريمة؟ اختلفت النظريات في الإجابة على هذا السؤال، لكن معظمها أكد أن هناك تأثير سلبي من وسائل الإعلام و هذا التأثير

يتفاعل مع عوامل أخرى –نفسية، شخصية، اقتصادية،اجتماعية-ليؤدي في أخر الأمر إلى تشجيع الفرد على ارتكاب الجريمة.

الصناعة الإعلامية اليوم نظرا لمعايير التسويق و التجارة و البيع و الربح تستغل الإثارة و الغرابة و أخبار الجنس و الجريمة و الانحراف و العنف لزيادة مبيعاتها و للاستجابة لمتطلبات السوق و المجتمع بغض النظر عن التأثيرات السلبية والضرر التي تلحقه بالناشئة و بالجمهور بصفة عامة. فمظاهر العنف في وسائل الإعلام أصبحت تحتل حيزا كبيرا و أصبحت قيما خبرية تتسابق عليها المؤسسات الإعلامية.

بالنسبة للعالم العربي المشكلة أكثر خطورة و اكثر تعقيدا نظرا للتبعية الشبه مطلقة على الصناعات الثقافية الغربية سواء تعلق الأمر بالأخبار أو الأفلام أو المسلسلات أو الإعلانات، و حتى بعض البرامج الحوارية أصبحت تستورد و تترجم و تقدم للجمهور. هذه التبعية لا تعطي اختيارا كبيرا للمؤسسات الإعلامية العربية في تقديم رسالة إعلامية أو منتج إعلامي هادف و يحتوي على قيم خبرية تتناغم مع القيم العربية الإسلامية. فمادة أفلام الكرتون الموجهة للطفل تحتوي على 70 بالمائة من مظاهر العنف و الجريمة و هذا يعتبر خطر منظم و يومي موجه لفئة تتميز بقابليتها للتقليد و الفضول و عدم التفريق بين الواقع و الخيال.

في المقابل تستطيع وسائل الاتصال الجماهيري بالتنسيق مع الجهات المختلفة في المجتمع و التي تعنى بقضايا العنف و الجريمة و الانحراف أن تسهم في التوعية و تصحيح الوضع بتشخيص الأسباب و تقديم الحلول و إشراك الجميع في تقويض هذه المشاكل التي تستفحل و تتزايد يوما بعد يوم خاصة إذا لم تواجه باستراتيجية محكمة من قبل الجهات المختصة. فالسكوت ممنوع و الامتناع عن

الفعل غير مقبول نهائيا، لأن المشكلة تتعلق بأغلى ما يملكه المجتمع-أطفالنا، فلذات أكبادنا.

المراجـــع:

- أحمد الربايعة (1984) أثر الثقافة و المجتمع في دفع الفرد إلى ارتكاب الجريمة. الريـــاض: المركز العربي للدراسات الأمنية و التدريب.
- جليل وديع شكور (1997) العنف و الجريمة. بيروت: الدار العربية للعلوم.
- حسن عماد مكاوي و ليلى حسين السيد (2001) الاتصال و نظرياته المعاصرة. الطبعـــة الثانية. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.
- سامية سليمان رزق (1994) المظاهر العدوانية في أفلام الكارتون الأجنبيـــة. القـــاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية.
- سميرة شمعون (1995) "الجريمة و المجتمع" مجلة الأمن، عدد46، أكتوبر.
- عبد الرحمن عيسوي (1984) الآثار النفسية و الاجتماعية للتلفزيون العربي. بيروت: دار النهضة العربية.
- عبد الكريم بن عبد الله الحربي (2003) الانترنيت و القنـــوات الفضـــائية و دورهـــا في الانحراف و الجنوح. الرياض: مكتبة العبيكان.
- عدلي سيد رضا (1994) "السلوكيات التي يكتسبها الأطفال من المواد التي تعرض العنف في التلفزيون"، بحوث الاتصال، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، العدد الحادي عشـــر،يوليو 1994.
- محمد عبد الحميد (1997) نظريات الإعلام و اتجاهات التأثير. الطبعة الأولى. القـــاهرة: عالم الكتب.
- Barak,G.(Ed.)(1995) *Media, process and the Social Construction of Crime*. New York: Garland Publishing, Inc.
- Berkowitz,L.(1993) *Aggression: Its Causes, Consequences, and Control*. New York: McGraw-Hill.

- Berkowitz,L., & K.H. Rogers (1986) "A Priming Effect Analysis of Media Influences", In J. Bryant & D. Zillman (Eds.), *Perspectives on Media Effects*. Hillsdale, NJ: Lawrence Erlbaum, pp:57-82.
- Berrington, Eileen and Paivi Honkatukia (2002) "An Evil Monster and a Poor Thing: Female Violence in the Media", *Journal of Scandinavian Studies in Criminology and Crime Prevention*, 3:50-72.
- BeVier, Lillian R. (2004) "Controlling Communications That Teach or Demonstrate Violence: "The Movie Made Them Do It", *Journal of Law, Medicine & Ethics*, 32:47-55.
- Bok, Sissela (1998) *Mayhem: Violence as Public Entertainment*. Reading, Mass: Addison-Wesley.
- Bryant, Gennings and Dolf Zillman (Eds.) (1994) *Media Effects: Advances in Theory and Research*. Thousand Oaks, CA: Sage Publications, Inc
- Bushman, Brad J. and L. Rowell Huesmann (2001) "Effects of Televised Violence on Aggression", In Dorothy G. Singer and Jerome L. Singer (eds.) *Handbook of Children and the Media*. Thousand Oaks, CA: Sage Publications, Inc, pp:223-254.
- Chermak,S.(1995) *Victims in the News:Crime and the American News Media*. Boulder,CO: Westview Press.
- Chibnall, S.(1977) *Law and Order News: An Analysis of Crime Reporting in the British Press*. London: Tavistock Publications.
- Cohen, S. and J. Young (Eds.) (1973) *The Manufacture of News: Deviance, Social Problems and the Mass Media*. London: Constable.
- Drabman, R.S. & M.H.,Thomas (1974a) "Does Media Violence Increase Children's Toleration of Real Life Aggression? "*Development Psychology*, 10,418-421.
- Drabman, R.S.,& M.H. Thomas (1974b) "Exposure to Filmed Vilence and Children's Tolerance of Real Life Aggression", *Personality & Social Psychology Bulletin*,1(1),198-199.
- Duddly, William (Ed.) (1999) *Media Violence: Opposing Viewpoints*. San Diego,CA: Greenhaven Press, Inc.
- Dyson, Rose A. (2000) *Mind Abuse: Media Violence in an Information Age*. Montreal: Black Rose Books.

- Felson, Richard B. (1996) "Mass Media Effects on Violent Behavior", *Annual Review of Sociology*, 22:103-28.
- Fenigstein,A.(1979) "Does Aggression Cause a Preference for Viewing Media Violence?", *Journal of Personality and Social Psychology*, 37, 2307-2317.
- Fishman, Mark and Gray Cavender (Eds.) (1998) *Entertaining Crime: Television Reality Programs.* Thousand Oaks, CA: Sage Publications, Inc
- Freedman, Jonathan L. (2002) *Media Violence and Its Effect on Aggression: Assessing the Scientific Evidence*. Toronto: University of Toronto Press.
- Gerbner,G. (1988) *Violence and Terror in Mass Media*. Paris: UNESCO.
- Gerbner,G.,& L.Gross.(1976) "Living with Television: The Violence Profile", *Journal of Communication*,26:172-199.
- Gerbner,G.,& L.Gross.(1981) "The Violent Face of Television and its Lessons", In Palmer, E.I, & A.Dorr (Eds.) *Children and the Faces of Television: Teaching, Violence, Selling*. New York: Academic Press, pp:149-162
- Groebel, Jo (2001) "Media Violence in Cross-Cultural Perspective", In Dorothy G. Singer and Jerome L. Singer (Eds.) *Handbook of Children and the Media*. Thousand Oaks, CA: Sage Publications Inc., pp:255-268.
- Hamilton,J.T.(1998) *Channeling Violence: The Economic Market for Violent Television Programming*. Princeton, NJ: Princeton University Press.
- Hansen, Anders, Simon Cottle, Ralph Negrine and Chris Newbold, *Mass Communication Research Methods*. Washington Square, NY: New York University Press, 1998.
- Hesnard, A.(1963) *Psychologie du Crime*. Paris: Payot.
- Hiebert,R.E and C. Reuss(1988) Impact of Mass Media. 2nd ed. New York: Longman.
- Howitt, Dennis (1998) *Crime, the Media and the Law*. Chichester: John Wiley & Sons.
- Huesmann,L.R.,& L.Eron (1986) *Television and the Aggressive Child: A Cross Comparison*. Hillsdale,NJ: Lawrence Erlbaum.

- Ito, Mamoru (2002) "Television and Violence in the Economy of Memory", *International Journal of Japanese Sociology*, 11:19-34.
- Katz,J.(1987) "What Makes Crime 'News'? *Media, Culture and Society*, 9.
- Kerman, Sue (2000) *Rosa Raye, Crime Reporter*. 2nd.ed.New York: Longman.
- Kidd-Hewitt, David and Richard Osborne (Eds.) (1995) *Crime and the Media: The Post-Modern Spectacle*. London: Pluto Press.
- Klapper, J.T.(1960) *The Effects of Mass Communication*. Glenceo.ILL: Free Press.
- Larsen,O.(1968) *Violence and Mass Media*. New York: Harper & Row.
- Lowery, Shearon A. and Melvin L. De Fleur, *Milestones in Mass Communication Research*. 3rd ed. New York: Longman, 1995.
- Muncie,J (1999) *Youth and Crime*. London:Sage.
- Naylor, B (1995) "Women's Crime and Media Coverage"in R.E Dobash, R.P Dobash, L. Noakes (Eds.) *Gender and Crime*. Cardiff: University of Wales Press.
- Paik,H., & G. Comstock (1994) "The Effects of Television Violence on Antisocial Behavior: A Meta-analysis", *Communication Research*, 21,516-546.
- Potter, W. James (2003) *The 11 Myths of media Violence*. Thousand Oaks, CA: Sage Publications.
- Reid, Penny and Gillian Finchilescu (1995) "The Disempowering Effects of Media Violence Against Women on College Women", *Psychology of Women Quarterly*, 19:397-411.
- Schramm, W., J. Lyle & E. Parker (1961) *Television in the Lives of our Children*. Stanford, CA: Stanford University Press.
- Scott, John L.(2001) "Media Congestion Limits Media Terrorism", *Defence and Peace Economics*, 12:215-227.
- Shirley, I.(1993) "The Culture of Violence", *Community Mental Health in New Zealand*, 7, 3-9.
- Singer, Dorothy G., and Jerome L. Singer (Eds.) (2001) *Handbook of Children and the Media*. Thousand Oaks, CA: Sage Publications Inc

- Stempel, Guido H. III, David H. Weaver and G. Cleveland Wilhoit,(Eds.)(2003) *Mass Communication research and Theory*. Boston: Allyn and Bacon.
- Tittle, Charles (2000) *Social Deviance and Crime: An Organizational and Theoretical Approach*. New York: Longman.
- Varis,T. (1984) "The International Flow of Television Programs", *Journal of Communication*, 34, 2:143-152.
- Weaver,J. and J. Wakshlag (1986) "Perceived Vulnerability to Crime: Criminal Victimization Experience and Television Viewing", *Journal of Broadcasting Media*, 30:141-158.
- Wimmer, Roger D. and Joseph R Dominick(2003) *Mass Media Research: An Introduction*. 7th.ed. Belmont: CA.: Wadsworth.
- Wykes, M (2001) *News, Crime and Culture*. London:Pluto.
- Yanich, Danilo (2001) "Location, Location, Location: Urban and Suburban Crime on Local TV News", *Journal of Urban Affairs*, Vol. 23, No. 3-4:221-241.